العقاب

أولًا اكتشفت د. «ماريا مونتيسوري» أن التهديد والوعيد يأتي بنتيجة عكسية، بدلًا من تنبيه الطفل للصواب، يفرز عقله مادة «الكورتيزول» التي تشل قدرته على الاستيعاب أو التقدير، وينتهي الموقف بطفل صارخ وأهل فاقدين للسيطرة. كما يرفض نهج المونتيسوري الصراخ الدائم بوجه الطفل وبالتبعية الضرب غير مطروح للنقاش من الأساس. يشجع نهج المونتيسوري على التعامل مع الطفل باحترام، كما لو كان شخصًا بالغًا قادرًا على رد الإهانة، وفي أحد كتبها ضربت مثل الخادمة التي يعاملها الأهل بثقة واحترام أكثر من الطفل، لا أحد يضرب الخادمة أو يسبها أو يكلمها بلهجة تحمل العنف أو الإساءة، ولكن الطفل ينصب عليه غضب واحباطات الأهل بصفة عامة.

ثانيًا اكتشفت د. «مونتيسوري» أن العنف اللفظي أو الجسدي تجاه الطفل لا يتوافق مع حجم الخطأ في أغلب الأحيان! خطأ الطفل فرصة للأهل للتنفيس عن غضبهم وضغوط الحياة عليهم، غضب الزوجة من زوجها ينصب على الطفل، إحباط الزوج في عمله ينصب على الطفل، مشاكل ومخاوف الكبار تجد مخرجًا لها من خلال العنف تجاه من لا يستطيع الرد أو الدفاع عن نفسه، الطفل!

ثالثًا أدركت د. «مونتيسوري» أن الطفل لا يتعلم الصواب والخطأ بالعقاب! الدرس الوحيد الذي يتعلمه الطفل من العقاب هو الكذب وتوخي الحذر في المرة القادمة! الرسالة التي تصله هي أنه غير محبوب وغير مرغوب فيه، وبالطبع لا يدرك نظرية البالغين بأن العقاب هذا لمصلحته وأنهم يضربونه من أجل مصلحته وأن هذه هي التربية!

رابعًا طالبت د. «مونتيسوري» الأهل بتغيير هدفهم من تربية الطفل! لا تجعلوا هدفكم طفلًا مطيعًا، ولا تعملوا على إنتاج كائن يخاف الردع والعقاب وإلا اختار الخطأ. ربوا طفلًا يختار الصواب بغض النظر عن الثواب أو العقاب. أنشئوا شخصًا يستطيع تقييم عواقب أفعاله وتحمل المسؤولية.

حسنًا، ماذا تفعلون حينما يخطئ طفلكم؟

احضنوه أولًا!

هذا الأسلوب يسمى gluing أو الالتصاق! قبل أن تخاطبوا الطفل أو توجهوه، احضنوه وقولوا له إنكم تحبونه، ثم وجهوه إلى الصواب واشرحوا له بلغة بسيطة مرارًا وتكرارًا نتيجة فعله وسبب مخاوفكم.

لا تسخروا من بكائه ولا تقللوا من شأن مشاعره ولا تهينوه ولا تقولوا له كلامًا جارحًا! الطفل لن يصغي لكم ولن يتفهم ما تقولون إذا كان تحت تأثير «الكورتيزول» الذي يفرز في الدم عند الخوف أو التوتر أو الحماس الزائد، الشقاوة!

نصحت د. «ماريا مونتيسوري» كل أم وأب بالعمل على حل مشاكلهم الخاصة وإحباطاتهم الحياتية بعيدًا عن الطفل، وحذرت من نتيجة العنف اللفظي والجسدي تجاه الصغار! نتيجة العنف اللفظي والجسدي هي طفل ماكر يداري أخطاءه وشخص بالغ لا يفعل الصواب إلا تحت وطأة الخوف من العقاب. يومًا ما سيكبر الطفل ويتعلم العنف اللفظي ويرده على أهله بصورة أو بأخرى!

احترموا الطفل حتى يحترمكم وإذا أخطأتم في حقه فيجب أن تعتذروا وتتأكدوا أن الطفل قد سامحكم! هكذا يتعلم الطفل الاختيارات الصحيحة والاعتذار عند الخطأ وينفض عنه آفات البالغين، الكبر والعناد والمكابرة!